

## عجائب الأرض

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا ضَلَالَ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

**أَمَّا بَعْدُ:**

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - حَقَّ التَّقْوَى، وَرَاقِبُوهُ فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى .

**أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:**

تَفَرَّدَ اللَّهُ وَحْدَهُ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَأَوْدَعَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ مِنْ عَجَائِبِ صَنْعِهِ وَعَظِيمِ فِعْلِهِ؛ فَشَهِدَتْ لَهُ مَخْلُوقَاتُهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَقْرَأَ مِنْ نُورِ اللَّهِ قَلْبَهُ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَأَيَّةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يَرَاهَا الصَّغِيرُ وَالكَبِيرُ، وَيَشْعُرُ بِهَا الْأَعْمَى وَالبَصِيرُ، وَالْأَصْمُ وَالسَّمِيعُ، يَتَقَلَّبُ الْخَلْقُ عَلَيْهَا ثُمَّ يَدْعُونَ فِيهَا، خَلَقَهَا فَأَبْدَعَهَا، وَحَمِدَ نَفْسَهُ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهَا فَقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]، وَأَقْسَمَ بِهَا فَقَالَ: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَرَفَهَا﴾ [الشمس: ٦]، وَبِأَجْزَاءِ مِنْهَا ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، خَلَقَهَا مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ لَهَا، وَبِنُورِهِ اسْتَنَارَتْ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، وَتَحَدَّى الْخَلْقَ أَنْ يَخْلُقُوا مِثْلَهَا ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٠]، وَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ، وَلِعَظَمِ خَلْقِهَا؛ أَقْرَأَ الْكُفَّارَ

بأنَّ خالقها هو الله ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وأمر بالتفكير فيها ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وذم من لم يعتبر بها وبما فيها ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، وأخبر أنها مليئة بالعبر والآيات ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

هي أصل الإنسان ومنها خلق ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، خلَقها في يومين قبل السماء كالأساس للبناء، ثم خلق السماء في يومين، ثم دحا الأرض في يومين آخرين، فأخرج بدحيها ما كان مودعاً فيها، فظهرت العيون وجرت الأنهار ونبت الزرع ورسب الجبال، فأتى الخلق في ستة أيام آخرهنَّ يوم الجمعة، فاتخذة المسلمون عيدهم في الأسبوع، ثم بعد خلقها استوى الرحمن على عرشه، وقال للسماء وللأرض - بما فيها من جبالٍ ثقَالٍ وبحارٍ زاخرات - : ﴿أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

خلقها سبع أرضين، كل واحدة فوق الأخرى، ومدّها ووسّعها، فلم تضق يوماً على ساكنيها، وسلك فيها سبلاً لا يتيهون فيها، وذلكها لخلقها، فالإنسان والطير والحيوان يُشيرها، قال سبحانه: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٧١]، ظهرها سكنٌ للأحياء، وبطنها نُزُلٌ للأموات، في جوفها ماء وحولها ماء، ولا تضطرب ولا تحيد، وبفضله كف البحر أن يطغى على يابسها، وأمسك السماء أن تقع عليها.

أرساها بجبالٍ شامخاتٍ؛ لئلا تميد، وأحسن نصبها، ورفعها فأحسن هيئتها، وجعلها صلبة لا تضمحل مع تطاول الزمان، خشعت جبالها لخالقها، وتسجد له وتهبط من خشيته، وأبت وأشفقت من حمل الأمانة.

وفيها بحار تمخر الفلك فيها، وتحمل الثقال، وما في بحارها

مأكول حلال ولو كان ميتة ﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٦]، وأنهارها حلوة عذبة تنبع في موطن ويسوقها إلى موطن آخر رزقاً للعباد، قَطَعُهَا متجاورات، تُسقى بماء واحد، فَتَنْبُتُ الأزواجُ المختلفةُ المتباينةُ في اللون والشكل والطعم والرائحة، منها غذاء والآخرُ دواء وفيها داء، ونباتها بقدرٍ موزونٍ ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩] قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «لا تكاد تخلو ورقةٌ منه ولا عِرْقٌ ولا ثمرةٌ من منافعٍ تعجزُ عقولُ البشر عن الإحاطة بها وتفصيلها»، وطيورها وسباعها وبهائمها أممٌ شتى، تُبهر العقل من عجائبها وإتقان خلقها، قال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨].

مليئةٌ بالخزائن والأرزاق ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧]، قال النبي ﷺ: «وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض» (متفق عليه)، قال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتشلونها - أي: تستخرجونها - قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «ملكك أمته من الأرض ما لم تملكه أمته من الأمم»، والله تكفل برزق جميع من عليها ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وخزائنها تفتح بالطاعات ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، حلالها كثير وبركاتها وفيرة، واللبيب يستغني بحلالها عن حرامها وبالفتاعة عن إثمها، قال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨].

جمالها وما عليها من زينةٍ للابتلاء والامتحان، قال ﷺ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، وفاضل سبحانه بين أرضه الواسعة؛ فاختار منها أماكن جعلها خير البقاع وأشرفها، فمن قصد بيت الله الحرام مخلصاً له العمل؛ غُفرت له

ذنوبه، قال النَّبِيُّ ﷺ: «من أتى هذا البيت فلم يرُفُثْ ولم يَفُسُقْ؛ رجع كيوم ولدته أمه» (متفق عليه)، وليس على وجه الأرض بقعة يجوز الطَّواف بها سوى كعبة الله المشرفة، وليس فيها موضعٌ يشرع تقبيله واستلامه سوى الحجر الأسود، والرُّكْنُ اليماني من الكعبة يُستلم، ونهى التَّعبُدَ في موضع يشرك فيه مع الله، نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النَّبِيُّ ﷺ فقال: «هل كان فيها وثنٌّ من أوثان الجاهلية يُعبَد؟ قالوا: لا، قال: هل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟ قالوا: لا، فقال: أوفِ بنذرِك» (رواه أبو داود).

والأرض تشرف بما يقع عليها من الأعمال الصَّالحة، قال النَّبِيُّ ﷺ: «أحبُّ البلاد إلى الله: مساجدُها، وأبغضُها إليه: أسواقُها» (رواه مسلم)، والله إذا أحبَّ عبداً كتب له المحبَّة فيها، والعالم يستغفر له من في السَّموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء. والأرض لا تأكل أجساد الأنبياء بعد موتهم، وفي الإنسان عظمٌ لا تأكله الأرض، منه يُركَّب يوم القيامة، وصلاحها بالطَّاعة وفسادها بالمعاصي، قال جلَّ شأنه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]. والأرض محكمة البناء لكن من عظم ذنب الشُّرك تكاد تنشق، قال جلَّ شأنه: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا \* أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠، ٩١]، والأرض لله نهى أن يمشى عليها ببطرٍ أو كبيرٍ أو معصية، قارونُ أعرض عن الله؛ فحُسيَفَ به وبيداره، و«بينما رجلٌ يمشي قد أعجبته جمته - أي: شعره إلى منكبيه - ووبرداه؛ إذ حُسيَفَ به الأرض، فهو يتجلجلُ في الأرض حتى تقوم الساعة» (متفق عليه)، وفي عهد النَّبِيِّ ﷺ ارتدَّ رجلٌ ولحقَ بالرُّوم، فلما هلك حفرُوا له قبراً، فكلَّمَا دفنوه فيه أخرجته الأرض منها، فتركوه ميتاً فوق القبر (رواه مسلم).

وكلُّ ما فيها من حركةٍ أو سكونٍ مكتوبٌ عند الله، قال ﷺ: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ

إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩]، وهو سبحانه لا يغيب عنه شيء مما في كونه، قال ﷺ: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]، يقضي حوائج عباده بتفريج كروبهم، وإنزال النعم والهبات عليهم ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وفي آخر الزمان تكثر الزلازل، وتظهر خسوفات؛ إيذاناً بطي الأرض وزوالها، وتقوم الساعة على شرار الخلق، قال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله» (رواه مسلم)، وإذا جاء أمر الله تنزل الأرض جميعها، وتحمّل وترج رجاً، وتذك دكّة واحدة، وتلقي ما في بطنها من الأموات وتتخلى عنهم، وأول من تنشق عنه الأرض نبينا محمد ﷺ، وتحدث يومئذ أخبارها، وتشهد على الناس بما عملوا على ظهرها من خير أو شر، ويطوي الله السموات، ثم يأخذن بيده اليمنى، ثم يطوي الأرض بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟، وتبدل الأرض ويحشر الناس على أرض غير هذه، قال النبي ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءَ عَفْرَاءٍ - أي: شديدة البياض -؛ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ - أي: كالدقيق النقي - ليس فيها علمٌ لأحد - أي: ليس فيها علامة سكنى، أو بناء، أو أثر -» (متفق عليه).

والأمر لله من قبل ومن بعد، وإليه يرجع الأمر كله، خلقت فأتقن ما صنع، وابتلى من خلق، والسعيد من وحّد خالقه ونال مرضاته.

### أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: ٣١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

## الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً.

### أيُّها المسلمون:

نصب الله مخلوقاته علاماتٍ على ربوبيّته، وشواهدَ على وحدانيّته، وآياتٍ على كمال صفاته، وكم لله من آية تفنى الأعمار دون الإحاطة بها؟! وبفضله سبحانه سخر لنا جميع ما في السَّموات وما في الأرض؛ لنستعين بها على طاعته، ونعملَ على أرضه بما نفوزُ به في الآخرة من جنّاته، ولا صلاحَ للقلب إلا بتعظيم خالقه وإخلاص العمل له وحده.

ثمّ اعلّموا أنّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيّه . . .